حرب السودان وهزيمة الجميع

عماد الحطبة
كاتب ومحلل سياسي

حرب جديدة في السودان ما زلنا لا نعرف سببها ولا انحياز أطرافها السياسية، لكننا نعرف تماماً هوية ضحاياها وكيف سيموتون وكيف سننعاهم ونوجّه الاتهام لمن خطّط ودبّر ونفّذ. لن تكون هذه المرة الأولى في تاريخنا الحديث، ويبدو أنها لن تكون الأخيرة. نحن نعرف المتهم بقتلنا لكننا نتواطأ معه، هذا ما فعلته القوى الثورية السودانية مرتين؛ الأولى عندما أسقطت نظام عمر البشير، والثانية بعد انقلاب ٢٠٢١ وكانت في أقرب نقطة من النصر. كانت الحجة حقن الدماء، وها هي الدماء نفسها تسفك عبثاً، ومن دون أمل بتحقيق أي إنجاز.

يقول مظفّر النواب "وتجذّر فإنّ الجيل الأول لم يتجذّر" وكأن قوانا الثورية يئست من مفهوم الثورة الحقيقية، فخانتها لياقتها الثورية، وسلّمت قيادتها لعدوها الاستعماري، وأصبحت تنشد حلول قضاياها من الولايات المتحدة والناتو، وعزلت نفسها عن قضايا شعوبها وأمتها، لتجد أنها في نهاية الطريق تكاد تخسر كل ما حقّقته عبر تاريخ طويل من النضال.

عبر أكثر من قرنين من الزمان ناضلت الجماهير الكادحة والمسحوقة في كل بقاع الأرض في سبيل حقوقها ومكتسباتها. واستطاعت من خلال تضحياتها تحقيق إنجازات هامة مثل عدالة الأجور، وحرية تشكيل النقابات، وحق المشاركة السياسية والاقتراع. كما استطاعت العديد من الشعوب انتزاع استقلالها وحقها في تقرير مصيرها وإنهاء ما عرف بالحقبة الاستعمارية.

كل هذا النضال كان موجّهاً ضد الاستغلال الذي مثّلته الرأسمالية منذ نشأتها وحتى اليوم. لكنّ الرأسمالية، وكعادتها دائماً، قامت بالسطو على نضالات الآخرين وتحويلها إلى إنجازات لها. وتحوّلت مصطلحات مثل العدالة والديمقراطية والحرية إلى علامات تجارية مسجّلة باسم النظام الرأسمالي، وفي الكثير من الأحيان إلى سلاح تستخدمه الرأسمالية ضد الشعوب والدول التي لا تدور في فلكها. وللأسف صدّقت معظم قوانا "الثورية" هذا الادعاء، وتساقطت الواحدة بعد الأخرى منذ اتفاق أوسلو وحتى اليوم. ولعل أكثر هذه المصطلحات استفزازاً، هو الربط بين الرأسمالية والإنسانية. الاستفزاز لا يكمن فقط في أن النظام الرأسمالي أباد الملايين، وكاد يفني شعوباً عن بكرة أبيها مثل سكان أميركا الأصليين، واستخدم أبشع أسلحة الدمار في حروبه الغاشمة، كما فعل في العراق وأفغانستان، بل في كونه يخرج علينا بحلة جديدة هي الرأسمالية الإنسانية. هذا النظام أعاد إنتاج مفهوم الإنسانية ليتفق مع نمط الإنتاج الرأسمالي، ويتحوّل إلى أداة بيد هذه الرأسمالية لممارسة المزيد من القهر والنهب والهيمنة على الشعوب.

يقول أحد زعماء الليبراليين: "العدو هو الشخص الذي لم تسمع قصته بعد". ما يعني إمكانية تغيير موقفك من العدو لو سمعت قصته وفهمت دوافعه. فإذا سمعنا قصة الهولوكوست يمكن أن نتفهّم احتلال فلسطين من قبل العصابات الصهيونية، وننظر إليهم كضحايا وليسوا كمجرمين، ونقبل اقتسام الأرض معهم. الأمر نفسه قاموا بتطبيقه على أسامة بن لادن وأبو محمد الجولاني، واليوم تتنافس القنوات الفضائية على روايتي البرهان وحميدتي وتحاول جرّنا للانحياز إلى إحداهما.

هذا ما تفعله هوليوود عندما تقدّم لنا صورة الجندي الأميركي في فيلم مثل "القنّاص الأميركي" الذي يقتل العراقيين دفاعاً عن زملائه الذين يقتحمون البيوت ويدمّرون الأحياء السكنية. في كل الحالات تطغى الصورة على أفكار المشاهدين، فتغيب عن عقولهم فكرة أن ما يسمعونه ويشاهدونه ليس سوى كذبة متقنة ومصطنعة، وأن الحقيقة تكمن في الأفعال التي يرتكبها هؤلاء على الأرض، وأننا يجب أن ننظر إليهم كأعداء ومجرمين، بغض النظر عما نسمعه أو نشاهده.

هذه الاستراتيجية التي تلجأ إليها الرأسمالية هي استراتيجية "الأنسنة". فمن الإنساني جداً أن نخطئ... في النهاية لسنا سوى بشر نخطئ، لكن المهم أننا نبادر إلى إصلاح أخطائنا، سواء من خلال سيادة القانون الليبرالي، أو التوبة الدينية. في هذا السياق يمكن أن نتفهّم قيام الجنود الأميركيين بأبشع عمليات التعذيب في سجن أبو غريب، ما دام القانون سوف يحاسبهم وقد يسجنهم أو يسرّحهم من الخدمة تسريحاً غير مشرّف. ويمكن أن نتقبّل توبة آكل الأكباد أو قاطع الرؤوس إذا أعلنها توبة نصوحاً. هذه الصورة يمكن أن نراها عند جيش الاحتلال في فلسطين، عندما تركّز الكاميرا على جندي صهيوني يساعد أهل المنزل في إخراج أثاثهم قبل أن يقوم جيش الاحتلال بتدمير منزلهم، وقد ينفض التراب عن دمية معفّرة به ويعيدها إلى طفلة تبكي، عندها تقترب المذيعة منه وتسأله عن سبب قيامه بذلك فيخرج محفظته ليريها صورة ابنته ويقول إن الطفلة ذكّرته بابنته الصغيرة. هنا يتسمّر العالم أمام هذا المشهد "الإنساني"، وينسى تماماً البيت الذي سيتمّ نسفه، والطفلة التي حصلت على دميتها لكنها فقدت منزلها وتحوّلت إلى مشرّدة.

المشهد نفسه يمكن أن نراه في السودان بعد انتهاء المعارك، أحد القتلة سوف ينصّب حكومة مدنية ويصيغ دستوراً، ويتحوّل من قاتل إلى مصلح، إنسان أخطأ وعاد إلى صوابه، واستعاد الديمقراطية من خلال انتخابات "شفّافة ونزيهة". تنتهي "الأنسنة" دوماً بتفكيك الآخر (العدو) وتحوّله إلى الآخر (الإنسان) فيخلع الإرهابي حزامه الناسف ويرتدي بدلة أنيقة ويتحوّل إلى معارض معتدل، ويُستبدل اليميني المتطرف المعادي للهجرة بيساري ليبرالي يطرح برنامجاً معادياً للهجرة باعتدال.

ضمن هذه المعادلة يصبح بايدن "إنسانا مُفْرطاً في إنسانيته" مقارنة بترامب المتطرف، وماكرون مقارنة بلوبان، وعبد الحكيم قطيفان الذي خرج في مظاهرة لشكر أميركا على قانون "قيصر"، وجورج صبرا الذي استنكر اعتبار جبهة النصرة تنظيماً إرهابياً، وكمال اللبواني الذي زار الكيان الغاصب في فلسطين. كل هؤلاء يعتبرون "إنسانيين" مقارنة بأبو عبد الله المحيسني وأسامة بن لادن، وعبد الفتاح البرهان قائد الجيش أكثر إنسانية من حميدتي قائد قوات التمرّد. إن ما نعرفه جميعاً، ومن دون شك، أن ما تدّعيه الرأسمالية من إنسانية أو ديمقراطية أو عدالة ليس سوى كذبة يستطيع أي شخص عادي تقديم الأدلة على عدم صدقها. ونعرف جميعاً أن الليبرالية الاقتصادية ليست سوى الغطاء الرأسمالي للفساد ونهب الشعوب. رغم ذلك نناضل في سبيل القيم العليا باستعمال وسائل الرأسمالية ولغتها وأدواتها، ونحن نعلم تماماً أنها لا تبدو فاسدة وكاذبة فحسب، بل إنها فاسدة وكاذبة فعلاً. وإذا كان لا بدّ من الثورة، فلنخضها كما يجب أن تخاض، أو نحقن الدم بالصمت، وننتظر جيلاً قادراً على قطع شوط الثورة حتى النهاية.

> ما سنراه في السودان بعد انتهاء المعارك، هو أنّ أحد القتلة سوف ينصّب حكومة مدنية ويصيغ دستوراً، ويتحوّل من قاتل إلى مصلح، إنسان أخطأ وعاد إلى صوابه، واستعاد الديمقراطية من خلال انتخابات «شفّافة ونزيهة»

التحليل الإخباري

هل تقهقرت "القوات اللبنانية" أمام التفاهمات الدولية؟

د. زكريا حمودان
موقع العهد الإخباري

المرحلة التي ولّت كانت مرحلة الزخم لدور "القوات اللبنانية" بعدما اتت الاشارة الخارجية، فتحركت جماهيرها في الشوارع من الشمال الى صيدا مرورًا بطريق دولي مقطوع شمالًا عبر قطاع طرق. بعد قطع الطرقات كانت مرحلة الطعن السياسي فانقلب حزب "القوات اللبنانية" على أخيه المسيحي وضرب "اوعا خَيَّك".

استطاع الزخم الكبير الذي تم ضخه لاسقاط لبنان أن يؤمن بعض النفوذ لحزب "القوات اللبنانية"، بالتزامن مع كميات هائلة من المال السياسي وأخطاء بعض القوى السياسية. جميع هذه العوامل لم تسمح لـ"القوات اللبنانية" أن تحقق ما وعد به الغرب وبعض دول الخليج الفارسي من تسونامي يستطيع تغيير المعادلة اللبنانية.

في المقابل أتت بداية المفاوضات الجدية التي قادت الى التفاهم الايراني - السعودي من جهة والتقارب السعودي - السوري من جهةٍ أُخرى كضربة لحزب "القوات اللبنانية" التي دخلت مرحلة ساخنة جدًا، فهي حتى اليوم لم تتقبل هذا الواقع الجديد وترفض التعايش معه، كما أنها بدأت تعيش أزمة مالية مستجدة بسبب توقف الدعم المالي السعودي بحسب مصادر واسعة الاطلاع، اضافة الى ترهل الموقف السياسي وضياع البوصلة التي كانت تغذي الخطاب الفتنوي ضد المقاومة من جهة، والجمهورية الاسلامية في ايران من جهةٍ أخرى.

السحر الذي صنعته "القوات اللبنانية" منذ سنوات عاد لينقلب عليها اليوم، فهي لا تستطيع تحديد خياراتها السياسية بالتزامن مع التبدلات الدولية من جهة، بالاضافة الى توجهها نحو خطاب متطرف داخليًا من خلال المناداة بالتقسيم عبر طرح الفدرالية بشكل علني من خلال النائب ملحم رياشي الذي كان ضيف إحدى القنوات التلفزيونية الاسبوع المنصرم. أما المؤسف فكريًا في خطاب ملحم رياشي فهو قوله إن من يريد أن "يتزوج مدني بيتفضل لعندهم" (أي المنطقة المسيحية)، وهو اذا كان يدل على شيء واضح لدى الشخص المعني، فهو يدل على نقص كبير في العديد من المفاهيم على الشكل التالي:

١- توجد مشكلة لدى ملحم رياشي في فهم معايير الزواج لدى كنيسته التي ينتمي اليها قبل توجهه للحديث عن الآخر وتحديدًا المسلمين.

٢- توجد أزمة لدى ملحم رياشي في فهم الفدرالية والتي يبدو لديه انها فقط ذات معيار يتعلق بالزواج، الأمر الذي يؤكد ان العقدة الطائفية ما زالت تسيطر على منهج هذا الفريق.

٣- توجد أزمة تقبل للمتغير الدولي، الأمر الذي جعل "القوات اللبنانية" تعترف برفضها للطائف الذي تعتبره السعودية ركيزتها في لبنان.

في الخلاصة، لم تتحمل "القوات اللبنانية" العيش في كنف الدولة الا سنوات، ثم استحضرت عاداتها القديمة في أسوأ مرحلة عاشها لبنان. لكن اليوم، السحر لم يعد فعالًا، وتقهقر "القوات اللبنانية" وبُعدها عن الواقعية السياسية سيضعها في مكانٍ أبعد بكثير من أن تكون شريكة مع أبناء الوطن، فهي اختارت أن تقف حيث لا يقف الوطنيون.

رضا بهلوي يتوجه الى الكيان المؤقت.. لا يمثّل إلا نفسه وعائلته

مشكلة الكيان الصهيوني وأمريكا الأساسية مع إيران، هو موقفها الثابت من القضية الفلسطينية ودعمها لحركات المقاومة

الخنادق

يتوجه رضا بهلوي إلى فلسطين المحتلة، لإبلاغ ما وصفه بـ"رسالة صداقة من الشعب الإيراني" إلى الكيان المؤقت، وتقديم التحية لقتلى الهولوكوست في "يوم هاشوا"، الذي صادف إحياؤه يوم الإثنين وبعده.

وما زال رضا بهلوي أسيراً لعقدة التاريخ، بحيث يعتبر نفسه شاهاً وممثلاً لتطلعات الشعب الإيراني، الذي كان قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعدها، يرفض رفضاً قاطعاً التعامل مع إسرائيل بأي شكلٍ كان. لكن ستكون خطوة بهلوي هذه، تأكيداً جديداً على ما قاله دائماً قادة الثورة الإسلامية وبعض قيادات المقاومة، لشعوب المنطقة، من أن مشكلة إسرائيل وأمريكا الأساسية مع إيران، هو موقفها الثابت من القضية الفلسطينية ودعمها لحركات المقاومة، وإلا فليس لديهم أية مشكلة (أي الإدارة الأمريكية وكيان الاحتلال)، من أن تكون إيران دولة ذات شأن في المنطقة بأسرها. مع الإشارة الى أن العديد من وسائل الإعلام الأمريكية والإسرائيلية، قد شككت أيضاً فيما إذا كان بهلوي يستطيع حشد الدعم لعودته إلى السلطة، كما اعترفت بأن والده قد حكم إيران ببذخ وقمع، واستفاد من انقلاب دعمته وكالة المخابرات المركزية عام ١٩٥٣.

وبالعودة الى زيارة بهلوي، فقد قال الأخير في تغريدة له على موقع تويتر، مرفقةً برسالة: "أنا أسافر إلى إسرائيل لإيصال رسالة صداقة من الشعب الإيراني، وإشراك خبراء المياه الإسرائيليين حول طرق معالجة إساءة استخدام النظام للموارد الطبيعية لإيران. مضيفا حسب ادعائه: أريد أن يعرف شعب إسرائيل أن الجمهورية الإسلامية لا تمثل الشعب الإيراني. يمكن إحياء الرابطة القديمة بين شعبينا لصالح كلا الشعبين. سأذهب إلى إسرائيل لألعب دوري في البناء نحو ذلك المستقبل الأكثر إشراقًا".

وكشفت قناة "كان" الإسرائيلية أن بهلوي سيُشارك في مراسم يوم "ذكرى المحرقة"، وسيجتمع مع عدد من المسؤولين الإسرائيليين الكبار. واصفةً هذه الزيارة بأنها تاريخية إلى كيان الاحتلال، لأنّ "ابن مسؤول كبير سابق في القيادة الإيرانية سيهبط في زيارة سرية"، مضيفةً بأنّها زيارة "من تحت الرادار، لكننا ننشر تفاصيلها"، مع العلم بأن بهلوي لم يسعى إلى إخفاء زيارته، بل هو من قام بالإفشاء عنها.

محطات علاقة عائلة بهلوي بكيان الاحتلال

في العام ١٩٥٠، كانت إيران من بين أوائل الدول التي اعترفت بكيان الاحتلال على الساحة الدولية.

في ٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٠، قال الشاه في مؤتمر صحفي إن إيران اعترفت بإسرائيل، وأن هذا الاعتراف ليس بجديد، وأن إغلاق السفارة في تل أبيب عام ١٩٥١، كان بسبب مشاكل في الميزانية، وأنه مع توثيق العلاقة بالكيان.

في كانون الأول / ديسمبر ١٩٦١، قام رئيس وزراء الكيان "ديفيد بن غوريون"، بزيارة إيران سراً، والتقى برئيس الوزراء حينها علي أميني.

_زار جميع رؤساء وزراء الكيان إيران منذ بداية الستينيات، ليفي إشكول عام ١٩٦٦، وغولدا مئير عام ١٩٧٢. وكذلك زاره كثير من المسؤولين في الكيان كوزراء الخارجية وقادة الجيش الإسرائيلي ورؤساء الموساد للاستخبارات والمهام الخاصة. ومن الجانب الآخر أيضاً، جاء قادة جيش الشاه ووزرائه وكثير من الشخصيات البارزة في بلاطه.

تطورت العلاقات الاقتصادية بينهما بشكل كبير، واستمر الشاه في بيع النفط لإسرائيل رغم ضغوط الدول العربية، ولأغراض التعاملات النفطية المشتركة، بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ وإغلاق قناة السويس، تم إنشاء شركة مشتركة "ترانس اسياتيك اويل" ومقرها في رمات غان، وجرى انشاء خط انابيب ايلات عسقلان، الذي ينقل النفط الخام من إيلات الى السفن المتواجدة في عسقلان والتي بدورها تقوم بتوصيله الى دول مختلفة.

كانت العلاقات الأمنية وثيقة جداً بين الطرفين، وكذلك الأمر من الناحية العسكرية، لكن الأبرز كان بمساعدة الكيان للشاه عبر الموساد في تأسيس جهاز استخبارات السافاك، الذي اشتُهر بأساليبه الوحشية في التعامل مع الثوار والمعارضين للشاه.